

بسم الله الرحمن الرحيم

المادة: تفسير

كلية الإمام الأعظم الجامعة

المستوى: الثاني

قسم أصول الدين/ الطارمية

الموضوع تفسير آيات من سورة البقرة ٢٠٢٠/٣/١٥ المحاضرة الثالثة

٥- من قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

المناسبة:

لما ذكر تعالى بعض قبائح اليهود وجرائمهم، من نقض المواثيق، واعتدائهم في السبت، وتمردهم على الله عزَّ وَجَلَّ في تطبيق شريعته المنزلة، أعقبه بذكر نوع آخر من مساوئهم ألا وهو مخالفتهم للأنبياء وتكذيبهم لهم، وعدم مسارعتهم لامثال الأوامر التي يوحىها الله إليهم،

اللغة: {هُزُؤًا} الهزؤ: السخرية {فَارِضٌ} الفارض: الهزيمة المسنة التي كبرت وطعننت في السن كذا في لسان العرب قال الشاعر:

لعمرى لقد أعطيتَ ضيفك فارضاً ... تُساق إليه ما تقوم على رجل

ولم تعطه بكرةً فيرضى سميناً ... فكيف تُجازى بالمودة والفضل؟

{عَوَانٌ} وسط ليست بمسنة ولا صغيرة، وقيل هي التي ولدت بطناً أو بطنين، {ذَلُولٌ} أي مذلة للعمل يقال: دابة ذلول أي ريضة زالت صعوبتها فقله {لَا ذَلُولٌ} أي لم تذلل لإثارة الأرض أي لحرثها {مُسَلَّمَةٌ} من السلامة أي خالصة ومبرأة من العيوب {شَيْبَةٌ} الشيب: اللمعة المخالفة لبقية اللون الأصلي قال الطبري: {لَا شَيْبَةٌ فِيهَا} أي لا بياض ولا سواد يخالف لونها {قَسَتْ} القسوة: الصلابة ونقيضها الرقة {يَشْفَقُ} التشقق: التصدع بطولٍ أو عرض {يَهْبِطُ} الهبوط: النزول من أعلى إلى أسفل.

«معجزة إحياء الميت وقصة البقرة»

ذكر القصة: روى ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني قال: «كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض، فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضنا بعضاً وهذا

رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً} قال: ولو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدتها ذهباً، فاشتروها بملء جلدتها ذهباً فذبحوها فضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلك؟ قال: هذا وأشار على ابن أخيه ثم مال ميتاً، فلم يعط من ماله شيئاً فلم يورث قاتل بعد» وفي رواية «فأخذوا الغلام فقتلوه» .

البلاغة: أولاً: قوله تعالى {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} من إيجاز القرآن أن حذف من صدر هذه الجملة جملتين مفهومتين من نظم الكلام والتقدير: فطلبوا البقرة الجامعة للأوصاف السابقة وحصلوها، فلما اهتدوا إليها ذبحوها وهذا من الإيجاز بالحذف.

ثانياً: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ} وصف القلوب بالصلابة والغلظ

ثالثاً: {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مجملاً) لأن أداة الشبه المذكورة ووجه الشبه محذوف.

رابعاً: {لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ} أي ماء الأنهار، والعرب يطلقون اسم المحل كالنهر على الحال فيه كالماء والقرينة ظاهرة لأن التفجر إنما يكون للماء ويسمى هذا مجازاً مرسلاً.

الفوائد:

الفائدة الأولى: نبه قوله تعالى {قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} على أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، وقد منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات كأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا إنما أنزل القرآن للتدبر والخشوع لا للتسلي والتفكه والمزاح.

الثانية: الخطاب في قوله {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا} لليهود المعاصرين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ َ وقد جرى على الأسلوب المعروف في مخاطبة الأقسام، إذ ينسب إلى الخلف ما فعل السلف إذا كانوا سائرين على نهجهم، راضين بفعلهم، وفيه توبيخ وتقريع للغابرين والحاضرين.

الثالثة: هذه الواقعة واقعة (قتل النفس) جرت قبل أمرهم بذبح البقرة، وإن وردت في الذكر بعده، والسر في ذلك التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة، والتكرير في التقريع والتوبيخ قال العلامة ابن السعود، وإنما غير الترتيب لتكرير التوبيخ وتنشئة التقريع، فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة، والاستهزاء بموسى عليه السلام والافتيات على أمره جناية عظيمة جدية بأن تنعى عليهم.

الرابعة: ذهب بعض المفسرين إلى أن الخشية هنا حقيقية، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار خشية بقدرها كقوله تعالى {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء: ٤٤] وقال آخرون: بل هو من باب المجاز كقول القائل: قال الحائط للمسمار لم تشقني؟ قال: سل من يدقني والله أعلم؟

٦- من قال تعالى ((أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) الى قوله تعالى ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)...))

المناسبة: لما ذكر تعالى عناد اليهود، وعدم امتثالهم لأوامر الله تعالى، ومجادلتهم للأنبياء الكرام، وعدم الانقياد والإذعان، عقب ذلك بذكر بعض القبائح والجرائم التي ارتكبوها كتحرif كلام الله تعالى، وادعائهم بأنهم أحباب الله، وأن النار لن تمسهم إلا بضعة أيام قليلة، إلى آخر ما هم عليه من أمانى كاذبة ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وقد بدأ تعالى الآيات بتبيين المسلمين من إيمانهم لأنهم فطروا على الضلال، وجبلوا على العناد والمكابرة.

اللغة: {أَفَنظَمُونَ} الطمع: تعلق النفس بشيء مطلوب تعلقاً قوياً، فإذا اشتد فهو طمع، وإذا ضعف كان رجاءً ورغبةً {يُحَرِّفُونَهُ} التحريف: التبديل والتغيير وأصله من الانحراف عن الشيء {عَقَلُوهُ} عقل الشيء أدركه بعقله والمراد فهموه وعرفوه {أُمِّيُونَ} جمع أمي وهو الذي لا يحسن القراءة والكتابة، سمي بذلك نسبة إلى الأم، لأنه باقٍ على ما ولدته عليه أمه من عدم المعرفة {أمانى} جمع أمنية وهي ما يتمناه الإنسان ويشتهي، أو يقدر في نفسه من منى ولذلك تطلق على الكذب قال أعرابي لإنسان: «أهذا شيء رأيته أم تمنيته» أي اختلقته، وتأتي بمعنى قرأ قال حسان: تمنى كتاب الله أول ليلة {فَوَيْلٌ} الويل: الهلاك والدماء وقيل: الفضيحة والخزي، وهي كلمة تستعمل في الشر والعذاب قال القاضي: هي نهاية الوعيد والتهديد كقوله {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١] وقال سيبويه: ويلٌ لمن وقع في الهلكة، وويح لمن أشرف عليها.

سَبَبُ النَّزُولِ:

١ - نزلت في الأنصار كانوا حلفاء لليهود وبينهم جوارٌ ورضاعة وكانوا يودون لو أسلموا فأنزل الله تعالى {أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} الآية.

٢ - وروى مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون: إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نُعذب بكل ألف سنة يوماً في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً} .